البحث الثاني

ركائز الفقه الدعوي
عند العلامة أبي الحسن الندوي

الدكتور يوسف القرضاوي (*)

(*) الداعية والمفكر الإسلامي المعروف، عميد كلية الشريعة، ومدير مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطر .

obeikandl.com

obeikandl.com

يقوم فقه الدعوة عند العلاّمّة أبي الحسن الندوي على ركائز وأسس تبلغ العشرين، منها ينطلق، وإليها يستند، وعليها يعتمد. نجملها هنا، ونفصّلها فيما بعد -إن شاء الله -.

١- تعميق الإيمان في مواجهة المادية:

أولى هذه الركائز: تعميق الإيمان بالله تعالى، وتوحيده سبحانه: ربّاً خالقاً، وإلهاً معبوداً، واليقين بالآخرة، داراً للجزاء، ثواباً وعقاباً، في مواجهة المادية الطاغية، التي تجحد أن للكون إلهاً يدبره ويحكمه، وأن في الإنسان روحاً هي نفخة من الله، وأن وراء هذه الدنيا آخرة، وليس كما تقول المادية إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، ولا شيء بعد ذلك. أو كما حكى الله عنهم: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (الأنعام: ٢٩)، وقد تخللت هذه الركيزة الفكرية المحورية معظم رسائله وكتبه، وخصوصاً: الصراع بين الإيمان والمادية.. ماذا خسر العالم.. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية.

٢- إعلاء الوحي على العقل:

وثانية هذه الركائز: هي اعتبار الوحي هو المصدر المعصوم، الذي تؤخذ منه حقائق الدين وأحكامه، من العقائد والشرائع والأخلاق، واعتبار نور النبوة فوق نور العقل، فلا أمان للعقل إذا سار في هذا الطريق وحده من العثار، ولا أمان للفلسفات المختلفة في الوصول إلى تصور صحيح عن الألوهية والكون والإنسان والحياة، حتى الفلسفة الدينية أو علم الكلام حين خاض هذه اللجة غرق فيها. وقصور العقل هنا شهد به بعض كبار المتكلمين كالفخر الرازي، والآمدي وغيرهما، وبعض كبار الفلاسفة، وأحدثهم (كانت). وكذلك فلسفات

الإشراق لم تصل بالإنسان إلى بر الأمان. وقد بين ذلك الشيخ الندوي في عدد من كتبه، منها: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن. ومنها: الدين والمدنية، وأصله محاضرة ألقاها في مقتبل الشباب (في الثلاثين من عمره).

٣- توثيق الصلة بالقرآن الكريم:

والركيزة الثالثة: هي توثيق الصلة بالقرآن، باعتباره كتاب الخلود، ودستور الإسلام وعمدة الملة، وينبوع العقيدة، وأساس الشريعة، وهو يوجب اتباع القواعد المقررة في تفسيره، وعدم الإلحاد في آياته، وتأويلها وفق الأهواء والمذاهب المنحولة، ولهذا أنكر على القاديانيين هذا التحريف في فهم القرآن.

ومن قرأ كتب الشيخ وجده عميق الصلة بكتاب الله، مستحضراً لآياته في كل موقف، محسناً الاستشهاد بها غاية الإحسان. وله ذوق متفرد في فهم الآيات، كما أن له دراسات خاصة في ضوء القرآن مثل: تأملات في سورة الكهف (التي تجلي الصراع بين المادية والإيمان بالغيب)، والنبوة والأنبياء في ضوء القرآن.. ومدخل للدراسات القرآنية.. وغيرها من الكتب والرسائل، وقد عمل مدرساً للقرآن وعلومه في دار العلوم بلكهنؤ عدة سنوات.

٤- توثيق الصلة بالسنة والسيرة النبوية:

والركيزة الرابعة: هي توثيق الصلة بالسنة والحديث الشريف، والسيرة النبوية العاطرة باعتبار السنة مبيّنة القرآن وشارحته نظرياً، وباعتبار السيرة هي التطبيق العملي للقرآن، وفيها يتجلى القرآن مجسداً في بشر (كان خلقه القرآن) وتتجلى (الأسوة الحسنة) التي نصبها الله للناس عامة، وللمؤمنين خاصة، لهذا كان المهم العيش في رحاب هذه السيرة، والاهتداء بهديها والتخلق بأخلاقها لا مجرد الحديث عنها، باللسان أو بالقلم.

وقد بيّن الشيخ أثر الحديث في الحياة الإسلامية، كما أبدع في كتابة السيرة للكبار وللأطفال، وهو هنا يجمع بين عقل الباحث المدقق، وقلب المحب العاشق، وهذا يكاد يكون مبثوثاً في عامة كتبه.

٥- إشعال الجذوة الروحية (الربّانيّة الإيجابية):

والركيزة الخامسة: هي إشعال الجذوة الروحية في حنايا المسلم، وإعلاء (نفخة الروح) على قبضة الطين والحمأ المسنون في كيانه، وإبراز هذا الجانب الأساسي في الحياة الإسلامية الذي سماه الشيخ (ربانية لا رهبانية) وهو عنوان لأحد كتبه الشهيرة. وقد سمّاه بهذا الاسم لسببين:

أولهما: أن يتجنب اسم (التصوف) لما علق به من شوائب، وما ألصق به من زوائد، على مرِّ العصور، وهذا من (جناية المصطلحات) على الحقائق والمضامين الصحيحة. وما التصوف في حقيقته إلا جانب (التزكية) التي هي إحدى شعب الرسالة المحمدية، أو جانب (الإحسان) الذي فسّره الرسول في حديث جبريل الشهير.

والسبب الثاني: إبراز العنصر الإيجابي في هذه الحياة الروحية المنشودة، فهي روحية اجتماعية، كما سمّاها أستاذنا البهيّ الخولي رحمه الله، وهي ربّانية إيجابية تعمل للحياة ولا تعتزلها، ولا تعبدها، وتجعل منها مزرعة للحياة الأخرى: حياة الخلود والبقاء.

كما وضّح الشيخ الندوي الجانب التعبّدي الشعائري في حياة المسلم في كتابه المعروف (الأركان الأربعة) وهو يمثل نظرة جديدة في عبادات الإسلام الكبرى: الصلاة والزكاة والصيام والحج، وآثارها في النفس والحياة.

٦- البناء لا الهدم، والجمع لا التفريق:

والركيزة السادسة: أن الشيخ الندوي جعل همّه في البناء لا الهدم، والجمع لا التفريق، وأنا أشبِّههُ هنا بالإمام حسن البنّا رحمه الله، الذي كان

حريصاً على هذا الاتجاه الذي شعاره: نبني ولا نهدم، ونجمع ولا نفرّق، ونقرّب ولا نباعد، لهذا تبنّى قاعدة المنار الذهبية: (نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه) وهذا هو توجه شيخنا الندوي فهو يبعد ما استطاع عن الأساليب الحادة، والعبارات الجارحة، والموضوعات المفرّقة، ولا يقيم معارك حول المسائل الجزئية، والقضايا الخلافيّة.

ولا يعني هذا: أنه يداهن في دينه، أو يسكت عن باطل يراه أو خطأ جسيم يشاهده، بل هو ينطق بما يعتقده من حق، وينقد ما يراه من باطل أو خطأ، لكن بالتي هي أحسن، كما رأيناه في نقده للشيعة في موقفهم من الصحابة (صورتان متضادتان) وفي نقده للعلامّة أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب، فيما سمّاه (التفسير السياسي للإسلام) وإن كنت وددت لو اتخذ له عنواناً غير هذا العنوان، الذي قد يستغله العلمانيّون في وقوفهم ضد (شمول الإسلام) وقد صارحت الشيخ بذلك، ووافقني عليه حفظه الله.

٧- إحياء روح الجهاد في سبيل الله:

والركيزة السابعة: هي إحياء روح الجهاد في سبيل الله، وتعبئة قوى الأمة النفسية للدفاع عن ذاتيتها ووجودها، وإيقاد شعلة الحماسة للدين في صدور الأمة، التي حاولت القوى المعادية للإسلام إخمادها، ومقاومة روح البطالة والقعود، والوهن النفسي، الذي هو حب الدنيا وكراهية الموت، وهذا واضح في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) وفي كتابه (إذا هبّت ريح الإيمان) وفي حديثه الدافق المعبّر عن الإمام أحمد بن عرفان الشهيد وجماعته ودعوته، وعن صلاح الدين الأيوبي وأمثاله من أبطال الإسلام.

ومنذ رسائله الأولى وهو ينفخ في هذه الروح، ويهيب بالأمة أن تنتفض للذود عن حماها، وتقوم بواجب الجهاد بكل مراتبه ومستوياته حتى تكون كلمة الله هي العليا.

٨- استيحاء التاريخ الإسلامي وبطولاته:

والركيزة الثامنة: استيحاء التاريخ - ولا سيمّا تاريخنا الإسلامي- لاستنهاض الأمة من كبوتها، فالتاريخ هو ذاكرة الأمة، ومخزن عبرها، ومستودع بطولاتها، والشيخ يملك حسّاً تاريخياً فريداً، ووعياً نادراً بأحداثه الكبار، والدروس المستفادة منها، كما تجلى ذلك في رسالته المبكرة (المد والجزر في تاريخ الإسلام) وفي كتابه: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) وفي غيره، والتاريخ عنده ليس هو تاريخ الملوك والأمراء وحدهم، بل تاريخ الشعوب والعلماء والمصلحين والربّانيين. ليس هو التاريخ السياسي فقط، بل السياسي والاجتماعي والثقافي والإيماني والجهادي. ولهذا يستنطق التاريخ بمعناه الواسع، ولا يكتفي بمصادر التاريخ الرسميّة، بل يضم إليها كتب الدين، والأدب، والطبقات المختلفة، وغيرها، ويستلهم مواقف الرجال الأفذاذ، وخصوصاً المجددين والمصلحين، كما في كتابه: (رجال الفكر والدعوة في الإسلام) الذي بيَّن فيه أن الإصلاح والتجديد خلال تاريخ الأمة: حلقات متصلة، ينتهي دور ليبدأ دور، ويغيب كوكب ليطلع كوكب. والنقص ليس في التاريخ، إنّما هو في منهج كتابته وتأليفه.

٩- نقد الفكرة الغربية والحضارة الماديّة:

والركيزة التاسعة: هي نقد الجاهلية الحديثة، المتمثلة في الفكرة الغربية، والحضارة المادية المعاصرة، ورؤيته هنا واضحة كل الوضوح لحقيقة الحضارة الغربية وخصائصها، واستمدادها من الحضارتين: الرومانية واليونانية، وما فيهما من غلبة الوثنية، والنزعة الماديّة الحسّية، والعصبيّة القوميّة، وهو واع تماماً للصراع القائم بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية، وخصوصاً في ميادين التعليم والتربية والثقافة والقيم والتقاليد. وقد أنكر الشيخ موقف الفريق المستسلم للغرب، المقلد له تقليداً أعمى في الخير والشر، ومثله: موقف

الفريق الرافض للغرب كله، المعتزل لحضارته بمادياتها ومعنوياتها.. ونوَّه الشيخ بموقف الفريق الثالث، الذي لا يعتبر الغرب خيراً محضاً، ولا شراً محضاً. فيأخذ من الغرب وسائله لا غاياته، وآلياته لا منهج حياته، فهو ينتخب من حضارته ما يلائم عقائده وقيمه، ويرفض ما لا يلائمه. واهتم الشيخ هنا بشعر د. محمد إقبال باعتباره أبرز ثائر على الحضارة المادية، مع عمق دراسته لها، وتغلغله في أعماقها.

وقد تجلى هذا في كثير من كتبه ورسائله، ولا سيما: حديث مع الغرب...، ماذا خسر العالم...، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أحاديث صريحة في أمريكا، محاضرة (الإسلام والغرب) في أكسفورد.

١٠- نقد الفكرة القومية والعصبيات الجاهلية:

والركيزة العاشرة: نقد ما شاع في العالم العربي والعالم الإسلامي كله، من التنادي بفكرة (القومية) القائمة على إحياء العصبيات الجاهلية، بعد ما أكرم الله به هذه الأمة من الأخوة الإسلامية، والإيمان بالعالمية، والبراءة من كل من دعا إلى عصبية، أو قاتل على عصبية أو مات على عصبية. وأشد ما آلمه: أن تتغلغل هذه الفكرة بين (العرب) الذين هم عصبة الإسلام، وحملة رسالته، وحفظة كتابه وسنته، وهو واحد منهم نسباً وفكراً وروحاً.

لذا وقف في وجه (القومية العربية) العلمانية المعادية للإسلام، المفرقة بين المسلمين، والتي اعتبرها بعضهم (نبوّة جديدة) أو (ديانة جديد) تجمع العرب على معتقدات ومفاهيم وقيم غير ما جاء به محمد ﷺ. الذي هدى الله به أمة العرب، وجمعهم به من فرقة، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور. وهو رغم رفضه للقومية، لا ينكر فضل العرب ودورهم وريادتهم، بل هو يستنهض العرب في محاضراته ورسائله وكتبه للقيام بمهمتهم، والمناداة

بعقائدهم ومبادئهم في وجه العالم كما نادى ربعي بن عامر، في مواجهة قادة الفرس، وهو يقول في: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين (محمد رسول الله روح العالم العربي) ويوجه رسالة عنوانها: اسمعوها منّي صريحة أيها العرب.. ورسائل أخرى: العرب والإسلام.. الفتح للعرب المسلمين.. اسمعي يا مصر.. اسمعي يا سورية.. اسمعي يا زهرة الصحراء (يعني: الكويت).. كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب؟.. كيف دخل العرب التاريخ.. العرب يكتشفون أنفسهم: تضحية شباب العرب. إلى آخره..

١١- تأكيد عقيدة ختم النبوة ومقاومة الفتنة القاديانية:

والركيزة الحادية عشرة: هي تأكيد (عقيدة ختم النبوة) وهي عقيدة معلومة من الدين بالضرورة بين المسلمين طوال القرون الماضية، ولم يثر حولها أي شك أو شبهة، وإنما أوجب تأكيد هذه العقيدة: ظهور الطائفة القاديانية بفتنتهم الجديدة التي اعتبرها الشيخ (ثورة على النبوّة المحمدية). ولقد كُتِبَ في هذه القضية ما كتب من مؤلفات ومقالات، ولكن الشيخ شعر بمسؤولية خاصة إزاءها، فكتب في بيان أهمية ختم النبوة: في اعتبارها تكريماً للإنسانية بأنها (بلغت الرشد)، وأنها انتهت إلى (الدين الكامل) الذي يضع الأسس والأصول، ويترك التفصيلات للعقل البشري، الذي يولد ويستنبط في ضوء تلك الأصول ما تحتاج إليه المجتمعات في تطورها المستمر، وهي تغلق الباب على المتنبئين الكذّابين، وتمنع فوضى الدعاوى الكاذبة المفترية على الله تعالى.

وقد أكّد الشيخ ذلك في فصلٍ من كتابه (النبوّة والأنبياء) عن (محمد خاتم النبيين)، ثم ألّف كتاباً عن (النبي الخاتم)، وجعل السيرة النبوية للأطفال بعنوان (سيرة خاتم النبيين) [1]، ثم صنّف كتاباً خاصاً عن (القادياني

(١) كتاب (سيرة خاتم النبيين) للأطفال، نشرته مؤسسة الرسالة في بيروت، وأعادت نشره في عدة طبعات.

والقاديانية) تضمن دراسة وتحليلاً لشخصية (غلام أحمد) ودعوته، ونشأته في أحضان الاستعمار الإنجليزي، واعترافه المتكرر بذلك في رسائله وكتاباته، ودعوته المسلمين إلى طاعة الإنجليز، وإلغاء الجهاد، وبين الشيخ الندوي بكل صراحة: أننا -مع القاديانية- في مواجهة دين إزاء دين، وأمة إزاء أمة. كما اشتد نكيره عليهم في تحريفهم للقرآن، وتلاعبهم باللغة العربية، وهذا الكتاب مرجعٌ علميٌّ موثق بالأدلة من مصادرها القاديانية ذاتها.

١٢- مقاومة الردّة الفكرية:

والركيزة الثانية عشرة: هي (مقاومة الردة الفكرية) التي تفاقم خطرها بين العرب والمسلمين عامة، والمثقفين منهم خاصة. فكما قاوم الشيخ (الردة الدينية) التي تمثلت في القاديانية، التي أصرّ علماء المسلمين كافة في باكستان على اعتبارهم أقلية غير مسلمة، لم يألُ جهداً في محاربة هذه (الردة العقلية والثقافية). ولا غرو أن جنَّد قلمه ولسانه وعلمه وجهده في كشف زيفها، ووقف زحفها، ومطاردة فلولها، وقد ألّف فيها رسالته البديعة الشهيرة (ردة ولا أبا بكر لها)!.

١٣- تأكيد دور الأمة المسلة واستمراره في التاريخ:

والركيزة الثالثة عشرة: هي تأكيد دور الأمة المسلمة في هداية البشرية، والشهادة على الأمم، والقيام على عبادة الله وتوحيده في الأرض، كما أشار على ذلك الرسول ﷺ يوم بدر: «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض**». وهذه الأمة صاحبة رسالة شاملة، وحضارة متكاملة، مزجت المادة بالروح، ووصلت الأرض بالسماء، وربطت الدنيا بالآخرة، وجمعت بين العلم والإيمان، ووفّقت بين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع، وهذه الأمة موقعها موقع القيادة والريادة للقافلة البشرية، وقد انتفعت منها البشرية يوم كانت الأمة الأولى في العالم.. ثم تخلفت عن الركب لعوامل شتى، فخسر العالم كثيراً

بتخلفها، وهو ما عالجه كتاب (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟) الذي عرفت به الشيخ قبل أن ألقاه، والذي استقبله العلماء والدعاة والمفكرون المسلمون استقبالاً حافلاً، وقال شيخنا الدكتور محمد يوسف موسى: إن قراءته فرضٌ على كلِّ مسلمٍ يعمل لإعادة مجد الإسلام!.

وما زال العلامة الندوي يبدئ ويعيد في تنبيه الأمة المسلمة على القيام بدورها الرسالي، ومهمتها التي (أخرجت) لها، فقد أخرجها الله (للناس) لا لنفسها. وآخر إنتاجه في ذلك: محاضرته التي ألقاها في دولة قطر، بعنوان (قيمة الأمة الإسلامية بين الأمم ودورها في العالم).

١٤- بيان فضل الصحابة ومنزلتهم في الدين:

والركيزة الرابعة عشرة: هي (بيان فضل الجيل المثالي الأول) في هذه الأمة، وهو جيل الصحابة رضوان الله عليهم، أبر الناس قلوباً، وأعمقهم علماً، وأقلّهم تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ونصرة دينه، وأنزل عليهم ملائكته في بدر والخندق وحنين، وهم الذين أثنى عليهم الله تعالى في كتابه في عدد من سوره، وأثنى عليهم رسوله في عدد من أحاديثه المستفيضة، وأكّد ذلك تاريخهم وسيرتهم ومآثرهم، فهم الذين حفظوا القرآن، والذين رووا السنة، والذين فتحوا الفتوح، ونشروا الإسلام في الأمم، وهم تلاميذ المدرسة المحمدية، وثمار غرس التربية النبوية. وهم أولى من ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (البقرة: ١٤٣)، وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وهم طليعة الأمة وأسوتها في العلم والعمل، وأئمتها في الجهاد والاجتهاد، وتلاميذهم من التابعين على قدمهم، وإن لم يبلغوا مبلغهم، (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم). فمن شكك في عظمة هذا الجيل وفي أخلاقه ومواقفه، فقد شكك في قيمة التربية المحمدية، وهي الصورة المعتمة التي رسمها الشيعة لجيل الصحابة، مناقضة الصورة المشرقة الوضيئة التي رسمها أهل

السنة والجماعة، وهذا ما وضحه علاّمتنا في رسالته الفريدة (صورتان متضادتان) لنتائج جهود الرسول الأعظم الدعوية والتربوية، وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية.

١٥- التنويه بقضية فلسطين وتحريرها:

والركيزة الخامسة عشرة: هي (التنويه بقضية فلسطين) فقضية فلسطين ليست قضية الفلسطينيين وحدهم، ولا العرب وحدهم، بل هي قضية المسلمين جميعاً، فلا بد من إيقاظ الأمة لخطرها، وتنبيهها على ضرورة التكاتف لتحريرها، واتخاذ الأسباب، ومراعاة السنن المطلوبة لاستعادتها. وليست هذه أول مرة تحتل فلسطين من قبل أعداء الدين والأمة، فقد احتلت أيام الحروب الصليبية نحو مئة عام حتى هيأ الله لهذه الأمة رجالاً أفذاذاً، جددوا شباب الأمة بالإيمان , وإحياء روح الكفاح ومعنى الجهاد في سبيل الله، مثل نور الدين وصلاح الدين، الذي أشاد به الشيخ الندوي كثيراً في كتبه ورسائله.

ولا سبيل إلى تحرير فلسطين إلا بهذا الطريق، وعلى نفس هذا المنهاج: تجميع الأمة على الإسلام، وتجديد روحها بالإيمان، وتربية رجالها على الجهاد، وقد كتب في ذلك الشيخ مقالات ورسائل، أظهرها (المسلمون وقضية فلسطين).

١٦- العناية بالتربية الإسلامية الحرة:

والركيزة السادسة عشرة: هي (العناية بالتربية الإسلامية الحرة) التي لا تستمد فلسفتها من الغرب ولا من الشرق، إنما تستمد فلسفتها من الإسلام: عقيدة وشريعة وقيماً وأخلاقاً، في حين تقتبس وسائلها وآلياتها من حيث شاءت، في: إطار أصولها المرعية، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، وهو ينكر على التعليم القديم طرائقه في العناية بالألفاظ والجدليات، كما ينكر على التعليم الحديث إغفاله للروح وأهداف الحياة،

وينقل عن إقبال قوله: إن التعليم الحديث لا يعلم عين الطالب الدموع، ولا قلبه الخشوع!.

ولقد أولى شيخنا جانب التربية اهتماماً بالغاً، لأنها هي التي تصنع أجيال المستقبل، والتهاون فيها تهاون في الثروة البشرية للأمة، وقد نقل الشيخ عن بعض شعراء الهند: أن فرعون كان يكفيه عن تذبيح بني إسرائيل: أن ينشئ لهم كلية يكيّف عقولهم فيهاكمايريد، ولكنه كان غبياً!..

كتب الشيخ في ذلك رسائل، أبرزها: التربية الإسلامية الحرة، كما ناقش كثيراً من قضايا التربية في كتابه: كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب؟. كما شارك الشيخ بنفسه في هذا المجال علماً وعملاً.

١٧- العناية بالطفولة والنشء:

والركيزة السابعة عشرة: هي (العناية بالطفولة، والكتابة للأطفال والناشئين) بوصفهم رجال الغد، وصنّاع تاريخ الأمم. وقد التفت الشيخ إلى هذا الأمر الخطير، وهو في الثلاثينات من عمره. وكتب مجموعة من قصص النبيين للأطفال، في لغة سهلة، وأسلوب عذب، وطريقة شائقة، مضمناً إياها ما يجب من المعاني والقيم، ومن الدروس والعبر، ومن العقائد والمثل، حتى قال بعض العلماء: إنها (علم توحيد) جديد للأطفال، وأثنى عليها أديبٌ كبير كالشهيد سيد قطب الذي مارس هذا العمل أيضاً وبعد ثلاثين سنة أو أكثر عاد فأكمل قصص الأنبياء[١]، وختمها بسيرة خاتم النبيين (كما أنشأ مجموعة (قصص من التاريخ الإسلامي)[٢] للأطفال أيضاً، وقال: إنه يرجو أن ينال بهذه الخطوة تقدير رجال التربية، وأن تليها خطوات، تؤلف مجموعات.

(١) كتاب (قصص النبيين) للأطفال، نشرته مؤسسة الرسالة في بيروت، وأعادت نشره في عدة طبعات.

(٢) كتاب (قصص من التاريخ الإسلامي) للأطفال، نشرته مؤسسة الرسالة في بيروت سنة ١٩٩٢م، وأعادت نشره في عدة طبعات بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

١٨- إعداد العلماء والدعاة الربانيين المعاصرين:

والركيزة الثامنة عشرة: هي العمل الدؤوب لإعداد العلماء والدعاة الربانيين، الذي يجمعون بين المعرفة الإسلامية، والرؤية العصرية، مع الغيرة الإيمانية والأخلاق الربانية، وهذا ما اجتهد الشيخ في أن يسهم فيه بنفسه عن طريق التدريس في (دار العلوم) ثم عن طريق تطوير المناهج، وعن طريق وضع المقررات والكتب الدراسية، ثم عن طريق الاشتراك في مجالس الجامعات والمؤسسات التعليمية في الهند، وفي غيرها، مثل المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وهو يرى أن المسلمين أحوج ما يكونون اليوم إلى الداعية البصير، والعالم المتمكن، الذي إذا استقضي قضى بحق، وإذا استفتي أفتى على بيّنة، وإذا دعا إلى الله دعا على بصيرة.

١٩- ترشيد الصحوة والحركات الإسلامية:

والركيزة التاسعة عشرة: هي ترشيد الصحوة الإسلامية، التي يشهدها العالم الإسلامي، بل يشهدها المسلمون في كل مكان،حتى خارج العالم الإسلامي، حيث توجد الأقليات والجاليات الإسلامية في أوروبا والأمريكتين والشرق الأقصى وغيرها. وهي صحوة عقول وقلوب وعزائم، ولكن يخشى على الصحوة من نفسها أكثر من غيرها. فتتآكل من الداخل قبل أن تضرب من الخارج.

وأعظم ما يخشى على الصحوة: الغلو والتشديد في غير موضعه، والتمسك بالقشور وترك اللباب، والاشتغال الزائد بالجزئيات والخلافيات، وسوء الظن بالمسلمين إلى حد التأثيم والتضليل، بل التكفير.

والشيخ بطبيعته رجل معتدل في تفكيره، وفي سلوكه وفي حياته كلها: فهو قديم جديد، وهو تراثي وعصري، وهو سلفي وصوفي، ثابت ومتطور، في لين الحرير، وصلابة الحديد. وهكذا يريد لجيل الصحوة أن يكون.

لم يقيد الشيخ الندوي نفسه بالالتزام بجماعة معينة، فقد بقي حراً، يشرف على الجماعات من خارجها، فيرى من نواقصها ما لا يراه أعضاؤها، ويبصر نقاط ضعفها، فيوجه وينصح، وينقد ويسدد، ولعل في ذلك خيراً. كما لا يدخر وسعاً في النصح لحكام المسلمين وزعمائهم ما وجد إلى ذلك سبيلاً. وخصوصاً أنه لا يطمع في شيء من أحد منهم.

٢٠- دعوة غير المسلمين:

وآخر هذه الركائز وهي المكملة للعشرين: دعوة غير المسلمين للإسلام، استكمالاً لما قامت به الأمة في العصور الأولى، وقد ساهم الشيخ في ذلك منذ عهد مبكر - وهو ابن الثانية والعشرين - بدعوة الدكتور أمبيدكر- زعيم المنبوذين إلى الإسلام، ورحلته إليه في بومباي.

وهو يرى أن فضل الأمة الإسلامية على غيرها في قيامه بواجب الدعوة إلى الله، وأن البشرية اليوم - رغم بلوغها ما بلغت من العلم المادي والتطور التكنولوجي - أحوج ما تكون إلى رسالة الإسلام، حاجة الظمآن إلى الماء، والسقيم إلى الشفاء، والأمة الإسلامية هي وحدها التي تملك قارورة الدواء، ومضخة الإطفاء.

تلك هي الركائز العشرون، التي قام عليها فقه الدعوة، عند الإمام الندوي، وكل ركيزة منها تحتاج إلى شرح وتفصيل، أسأل الله تعالى أن يعين عليه، ويوفق لإتمامه إنه سميع مجيب.